اسم الدرس : الاستغلال الأمثل لمواسم الطاعات

تصنيف الدرس : منوعات | موسم الحج

الاستغلال الأمثل لمواسم الطاعات

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله علوبركاته

بإذن الله عز وجل لقاء اليوم هو غالبًا اللقاء الأخير قبل رمضان، أسأل الله عز وجل أن يبلغنا رمضان، وأن يعيننا فيه على ذكره وشكره وحسن عبادته، وأن يعيننا في رمضان على قراءة وتدبر والعمل بالقرآن، وأن يعيننا على الصيام والقيام والعمل بما يرضيه سبحانه وتعالى.

حقيقةً حين يرجع المرء من العمرة فإنه يفكر دائمًا في هذه الفترات أن يقوم بإعادة محاسبة، فهذه الفترات تكون الفترات المثلى التي يعيد فيها الإنسان محاسبة نفسه، لذلك آثرت أن يكون درس اليوم بعنوان: "الاستغلال الأمثل لمواسم الطاعات"، خاصة أننا مقبلون على هذا الشهر العظيم المبارك أسأل الله عز وجل أن يبلغنا رمضان وأن يبلغنا ليلة القدر، وأن يوفقنا لقيام ليلة القدر على الوجه الذي يرضي ربنا سبحانه وتعالى.

كيف نستغل مواسم الطاعات الاستغلال الأمثل؟

كثير من الدعاة وأهل العلم سبق في توضيح كيف نستعد وكيف نستغل مواسم الطاعات، ولا سيما موسم رمضان الذي يعتبر من أكبر وأفضل المواسم.

هذا الشهر العظيم الذي ميزه الله عز وجل بإنزال القرآن فيه، لما أراد الله عز وجل أن يعرفنا رمضان قال: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ}[سورة البقرة:١٨٥]، الاسم الموصول الذي جاء للتعريف "الذي"، هذا الحدث العظيم –إنزال القرآن– الذي حدث في رمضان، وأدى إلى تغيير شامل في الحياة في كل نواحي الحياة، نحن الآن مقبلون على هذا الشهر.

كيف نستغل مواسم الطاعات؟ ولا سيما رمضان؟ وأنا آثرت أن تكون مواسم الطاعات لأجل أن تصلح لرمضان، العشر من ذي الحجة، العمرة، أي موسم للطاعة الإنسان يوفق أنه يلحق به سواء كما قلنا العمرة أو الحج مثلاً –أسأل الله عز وجل أن يتابع لنا بين الحج والعمرة– أو المواسم الزمنية مثل العشر الأوائل من ذي الحجة أو رمضان.

توجد إشكالية جعلتني أفكر في فكرة هذا الدرس، أن المرء يلاحظ في نفسه وفي بعض إخوانه أنه حريص أن يتأثر في موسم الطاعة، بمعنى أنه مشغول بكيف يكون متأثرًا مثلًا في التراويح في رمضان، كيف يبكي في تراويح رمضان، أو كيف يبكي وهو يطوف أو كيف يبكي وهو يقول الأذكار في العشر الأوائل من ذي الحجة.

ويكون مشغولًا بذلك ويتمنى هذه اللحظات أو هذا هو الحلم، هذه هي الأمنية، فلو سألته ماذا تشتهي؟ كما قيل عن بعض السلف: ما تشتهي؟ –وسنذكر هذه الأمنية في سياق حديثنا إن شاء الله اليوم–، فلو سألت هذا الشخص ماذا تشتهي؟ ماذا تتمنى أن تكون في رمضان القادم؟ ما طموحك عن نفسك في رمضان؟ أو ما طموحك عن نفسك في العشر الأوائل من ذي الحجة؟

غالبًا ما تكون الإجابة أنه يريد أن يعيش مع القرآن، يريد أن يتأثر، يريد أن تكون علاقته بالقرآن خاصة في رمضان مختلفة، علاقته بالأذكار مختلفة، وهذا شيء رائع وهدف وطموح مهم جدًا جدًا أن الإنسان

يسعى إليه، لكن الإشكالية أن من المقاصد الأساسية للعبادات أن الإنسان يتغير، فمن مقاصد الشريعة أن تصرف الإنسان عن داعية هواه، أن الإنسان يقاوم هذا الهوى الذي بداخله، {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ}[النازعات: ٤٠] استطاع أن يقول لنفسه: لا، لن أعطيكِ ما تريدينه من الهوى، لن أعطيكِ ذلك.

هو يصل إلى أنه مكن الله عز وجل له في نفسه، فأصبحت هذه النفس تنشط في الطاعة، فتنشط حين الخروج عند الموت { وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطا }[النازعات:٢]، أما النفس التي لا تنشط لا في الطاعة ولا في رضا ربنا سبحانه وتعالى فعند الموت لا تنشط للخروج فتنزع نزعًا {وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقا }[النازعات:٢]، لذلك جاء في نفس السورة، {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ}.

الإشكالية التي أود أن يكون محور الدرس حولها اليوم هي: كيف نحول مواسم الطاعات إلى مواسم تغيير وليست مواسم تأثير؟ كيف نحول مواسم الطاعات إلى مواسم تغيير وليست فقط –فالتأثر مهم بل هو الزاد للتغيير– وليست فقط مواسم للتأثر.

فليس الغرض أنك تبكي في رمضان وحسب، هناك بعض الناس بمجرد ما يبكي يستريح، أي أنه بكى في التراويح فيشعر براحة نفسية، ويخرج من الصلاة يمارس حياته كما كانت تمامًا لا يوجد أي تغيير، واليوم التالي: يجاهد نفسه، ويظل هكذا يومين ثلاثة أربعة فيبكي، وبعد ذلك يخرج من رمضان بكى عددًا من المرات، لكن الوضع كما هو، حياته لا يوجد فيها أي تغير، لا يوجد فيها أي تغيير، ليس هذا من المقاصد المثلى للعبادات،إنما جاءت العبادات لتروض النفس.

قلنا قبل ذلك أن كل عبادة تصلح وتحسن جزءًا في نفس الإنسان، والذي يترك عبادة من العبادات أو حتى أن يحدث نفسه بهذه العبادة يظل فيه شعبة من شعاب القلب لم تتغير أو تحتاج إلى أن تُحَسّن، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من لم يغز أو تحدثه نفسه بالغزو مات على شعبة من شعب النفاق)[1].

فتارك الغزو أو الذي لا يُحدث نفسه بالغزو عنده إشكالية في قلبه، تارك الحج والعمرة أو الذي لا يحدث نفسه بالحج والعمرة عنده إشكالية، النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر عن رب العزة في الحديث القدسي أن (عبدًا أعطاه الله عز وجل المال والقدرة الصحة ويستطيع أن يفد إلى الله عز وجل) -أي في الحج والعمرة- (ولا يفد إليّ فهو محروم)، أي أنه يمر عليه خمس سنوات وهو عنده القدرة المادية والبدنية أنه يسافر للحج أو العمرة ولا يسافر، فقال الله عز وجل عنه (فهو محروم).

إذًا هناك إشكالية أنه يمر عليه فترة من الفترات لا يحسن الصلاة، لا يتقن الصلاة، لا يتقن الصيام، هذا عنده إشكالية في داخله.

فكل عبادة من العبادات تحسن وتصلح جزءًا من النفس، لذلك وضعت العبادات مع المعاملات في سورة البقرة وفي غيرها من السور، هذا التشابك؛ أن آيات الصلاة مع آيات الطلاق، آيات الأموال مع آيات الصيام، آيات الحج مع آيات القتال، هذه العبادات زاد حتى يستطيع الإنسان أن يقوم بهذه المعاملات على الوجه الذي يرض ربنا سبحانه وتعالى، لن يستطيع إلا بالعباداخل

الإشكالية أنه يأتي الموسم؛ موسم رمضان ونخرج من رمضان متأثرين وغير متغيرين!... لا، نحن لا نريد هذا ... أو يأتي موسم العمرة، أو العشر الأوائل من ذي الحجة، ويخرج... نعم بكى وتأثر لكن لم يتغير، المفترض أن تكون هذه أهم نقطة نضعها في ذهننا في التعامل مع مواسم الطاعات، أنها تكون مواسم للمحاسبة.

[1] من لم يغزُ أو يجَهِّز غازيًا أو يخلف غازيًا في أَهلِهِ بخيرٍ، أصابَهُ اللَّهُ سبحانَهُ بقارعةٍ قبلَ يومِ القيامة.
أبو أمامة الباهلي • الألباني (ت ١٤٢٠)، صحيح ابن ماجه ٢٢٤٩ • حسن • أخرجه أبو داود (٢٥٠٣)، وابن ماجه (٢٧٦٢)

هذه الفترة فترة خلوة، فترة العبادات، ولا سيما مع رمضان، فترة خلوة مع النفس، فترة البعد عن معايير ومقاييس الواقع، فترة علو في الإيمان، الإنسان حين يعلوإيمانه، كلما علا إيمانه استطاع أن يرى إشكاليات لم يكن يراها في حياته، يفاجأ أنه مقصر، ما هذا! كيف كنت أفعل كذا؟... هذا لم يكن يشغل باله!

فبعض الناس حياته تسير بطريقة عادية، تقول **له ما أخبار دينك؟ ي**قول جيد جدًا، فإذا قلت له هل تعمل كذا في الدين؟ يقول لا والله، هل تعمل كذا؟ لا والله، إذًا كيف تقول جيد جدًا؟

هو يرى أنه لا يحتاج هذه العبادات، هو مكتف وراضٍ بقدر ضئيل!!! لو استطاع يؤدي الخمس فروض في البيت، ولا يزني ولا يعمل فواحش، هو يرى أنه بذلك جيد جدًا، لكن كلما يسمع عن معاني الدين، ويقرأ القرآن، ويقرأ في سنة النبي صلى الله عليه وسلم، يفاجأ أن عنده نقص حاد في الدين.

فمواسم الطاعات فرصة للابتعاد عن الشواغل، فرصة للخلوة بالنفس، فرصة للبعد عن معايير الواقع، فرصة لعلو الإيمان، فيبدأ الإنسان يكتشف إشكاليات في حياته، كل هذه الفرص تتأتى أن الإنسان يجلس مع نفسه جلسة صدق، هذا أهم شيء نريد أن نخرج به من رمضان، جلسة صدق مع نفسك، أين أنا من رضا الله؟ لماذا لا أنطلق؟

سؤال محوري: ما هي الكدية المانعة لي من الانطلاق؟

قال ربنا سبحانه وتعالى {أَفَرَأَيتَ الَّذي تَوَلّى}[النجم:٣٣] كان امرؤ يسير في الطريق ثم رجع و تولى، أعرض {أَفَرَأَيتَ الَّذي تَوَلّى} لماذا تولى؟ {وَأَعطى قَليلًا وَأَكدَى}[النجم:٣٤] أعطى قليلًا! حينما أراد أن يبذل للدين كان يعطي القليل، كان يحسبها مع ربنا عكس ما ربنا سبحانه وتعالى بيقول {فَأَمّا مَن أَعطى وَاتَّقى}[سورة الليل:٥] مفعول "أعطى" هنا محذوف يفيد العموم، أي كلما استطاع أن يقدم شيئًا قدمه، فـ {أعطى قليلًا} هو من البداية داخل متردد متذبذب، {وَأَكدَى} أكدى هذه الألف أي

بلغ الكدية، مثل أظهر أي دخل في الظهر، أصبح أي بلغ الصباح، أمسى أي دخل في المساء، فأكدى أي بلغ موضع الكدية، والكدية هى الحجر الصلب الذي يصعب أن يكسره، وهذا مثل مجموعه من الناس يريدون حفر بئر لأنهم يحتاجون الماء، فلما بدأوا يحفرون قابلتهم صخرة كبيرة فأعرضوا عن الحفر.

هو قلب يحتاج إلى أن يرتوي بماء الوحي، بماء الإيمان، فحاول أن يحفر فوجد صعوبات فتوقف عن الحفر، قد يكون لم يتولَّ بعد، لكن الإشكالية أنه منذ سنة وهو في نفس مستوى الإيمان، نفس مستوى العبادات، نفس مستوى المشاعر، نفس مستوى التضحية والتفكير، لماذا؟! ما المانع من التقدم؟! توجد إشكالية.

أحيانًا يكون هو خائف من أن يكتشف الإشكالية، يخاف أن يكتشف أن المشكلة في كذا، لأنه لو اكتشف أن المشكلة في كذا فيجب أن يتركه وهو لا يستطيع ذلك، أحيانًا يخاف أن يفكر، كالمريض الذي يخاف أن يذهب للطبيب من تبعات العلاج، يقول لا، افتَرِض أني كشفت عند الطبيب وقال لي عندك كذا وستحتاج عملية كذا وحقن، أنا مرتاح هكذا، فتقول له نعم ولكنك قد تموت إذا لم تتلقى العلاج، فيقول نعم أنا مستريح هكذا أموت وأنا لا أعرف مرضي أفضل لي.

هذا ممكن أن يُتجاوز عنه في البدن، أما في الروح؛ أن يكون الإنسان عنده إشكالية في أمر من أمور الدنيا يعطله عن الانطلاق إلى الله سبحانه وتعالى وهو غير قادر أن يتخطاه، أحيانًا لا تكون مطالبًا أن تكسر الكدية، قد يكون عندنا ضعف...سيدنا سليمان من قوة إيمانه عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم لما تعطل عن الذكر للحظات بسبب الخيل قال {رُدّوها عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسحًا بِالسّوقِ وَالأَعناقِ} [سورة ص:٣٣] على قول –وأنا أميل إليه– أنه قطع أيدي الخيل {فَطَفِقَ مَسحًا بِالسّوقِ وَالأَعناقِ} لماذا؟

هذه كدية كانت تعطله، فقرر أن يزيلها، أحيانًا توجد كدى في حياتنا لا نستطيع أن نفعل فيها هكذا، فما الحل إذًا؟ **أنت ممكن تبحث عن طريق آخر، تبحث عن طريق موازي، ممكن تبحث عن بدائل.**

في الطب مثلًا أحيانًا عندما ينسد الشريان، نجد أن الشرايين الجانبية Collaterals تقوم بدوره، فمن رحمة ربنا سبحانه وتعالى وجود هذه الشرايين الجانبية Collaterals وإلا كانت أي جلطة أو أي انسداد يؤدي إلى موت هذا العضو، لكن من رحمة الله سبحانه وتعالى وجود شرايين جانبية تساعد على وصول الغذاء للعضو، فأحيانًا يحتاج الإنسان أن يبحث عن بديل.

ولو افترضنا أنه غير قادر وأنه مبتلى بقضية معينة في الدنيا وهي فعلًا تعطله، إذًا فليزيد الأعمال الصالحة في مكان آخر لكي يزداد الإيمان، **وأنت كلما زدت العمل الصالح والإيمان، بعد ذلك ستجد العمل يُيَسر**، (من تقرب إليّ شبرًا تقربت إليه ذراعًا)، هو عمل مجهود شبر فيفاجأ بتيسير السير لمدة الذراع.

لأنه يسير الآن في المعية –معية الله–، (تقربت إليه ذراعًا)، (ومن تقرب إليّ ذراعًا) هذا الذراع الذي تقربه كان سهلًا، لماذا؟ لأنه يسير في المعية، هو قدم الشبر، (ومن تقرب إليّ ذراعًا تقربت اليه باعًا ومن أتاني يمشي أتيته هرولة)[2] هذه لا تسأل عن معناها، "أتيته هرولة" هذه المعاملة معاملة مختلفة تمامًا.

الإشكالية أننا نريد أن يعاملنا الله عز وجل بمعاملة الهرولة ونحن من أهل الأشبار، أنت بالكاد تقدم شبرًا وبصعوبة ثم تريد معاملة الهرولة، إذًا استمر في الطريق، لا تجعل هذه الكدى التي في الطريق تمنعك من السير، فاستغلال مواسم الطاعات للحظات الصدق أنه يقف مع نفسه: أنا ما الذي يعطلني؟ لماذا عندي إشكالية في القيام؟ لماذا عندي إشكالية في العلم؟ ما المطلوب مني؟

أنا أحتاج أن أشخص نفسي، ما هو المطلوب مني؟ ما الذي أفعله في حياتي؟ وفي أي شيء يمضي وقتي؟ وأين ديني؟ لماذا لا أتقرب من رضا الله سبحانه وتعالى؟

تحتاج أن تجلس مع نفسك، لا تترك الحياة والأيام والسنين تمضي بك **ثم تفاجأ أنك صرت شخصًا تسير بك الحياة كما تسير بالناس**، قالوا لي يجب أن أدخل الروضة، فدخلت الروضة، قالوا يجب أن

---

[2] يقولُ اللَّهُ تَعالى: أنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بي، وأنا معهُ إذا ذَكَرَنِي، فإنْ ذَكَرَنِي في نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ في نَفْسِي، وإنْ ذَكَرَنِي في مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ في مَلَإٍ خَيْرٍ منهمْ، وإنْ تَقَرَّبَ إلَيَّ بشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إلَيْهِ ذِراعًا، وإنْ تَقَرَّبَ إلَيَّ ذِراعًا تَقَرَّبْتُ إلَيْهِ باعًا، وإنْ أتانِي يَمْشِي أتَيْتُهُ هَرْوَلَةً.
أبو هريرة • البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٧٤٠٥ • [صحيح] • أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥) باختلاف يسير.

تدخل الابتدائي، فدخلت الابتدائي، قالوا يجب أن تدخل الثانوي، فدخلت الثانوي، يجب أن تدخل الجامعة، يجب أن تتوظف، يجب أن تتزوج، يجب أن تنجب، يجب أن تربي أولادك وتصرف عليهم، يجب أن تُأمن مستقبلهم، يجب أن تموت، يجب أن تدفن،... **وماذا بعد؟!!**

إذا كان خط الحياة يدفعك دفعًا للسير في طريق معين فلماذا لا تملك أنت الزمام؟ لماذا لا تكون أنت من تختار؟ هذا صعب ويحتاج قوة لأنك تمشي عكس التيار وتصل لمرحلة بفضل الله من قوة الإيمان أنك أنت تقنع التيار كله أنه يسير في اتجاه خاطئ، {أَلْهاكُمُ التَّكاثُرُ*حَتّى زُرتُمُ المَقابِرَ}[التكاثر:١، ٢] هذا يحتاج إلى قوة صدق وقوة إيمان.

كان مؤمن آل فرعون يقف بمفرده لكنه عنده يقين {يقوم إِنّماهذِهِ الحَياةُ الدُّنيا مَتاعٌ}[غافر: ٣٩] هو يراها متاع، يتكلم عن ملك فرعون وعن قصر فرعون أنه مجرد متاع يذهب، المتاع الذي يُتمتع به لفترة زمنية قصيرة ثم ينتهي.

استغلال مواسم الطاعات لهذه الجلسات، **جلسات الصدق** كان هذا من أهم ما يميز الصحابة، كان عنده صدق مع نفسه، لم يكن يعيش أوضاعًا مصطنعة متكلفة، لا، هو صادق مع نفسه، أنا عندي إشكالية في كذا، كان يجيء الرجل للنبي صلى الله عليه وسلم فيقول له: "ائذن لي في الزنا"، واجه مشكلته، عرف أن عنده مشكلة فقال أنا سأواجه مشكلتي وأتكلم مع النبي صلى الله عليه وسلم، النبي صلى الله عليه وسلم وضع يده الشريفة على صدره ودعا له، فأذهب الله عز وجل عنه ما كان يجد في صدره، تخيل لو كان لم يواجه المشكلة وتغافل عنها فلم يقف مع نفسه وقفة كان ممكن أن يقع في الزنا.

أن يتغافل الإنسان عن الإشكاليات التي يجدها في قلبه أو في نفسه، أو في حياته، يتغافل! المهم عنده أن حياته تسير بسلاسة!

من المفترض أن **مواسم الطاعات من أهم مقاصدها التغيير**، الإشكالية أن حياة الإنسان قد يكون فيها تقصير معين في الدين أو فيها توقف عن النمو الديني ثم يدخل موسم الطعات ويبكي، وبعد ذلك يخرج والحياة تستمر كما هي، لا يوجد أي تغيير، ولا أي مثلًا مواعيد جديدة ولا أي برنامج جديد ولا أي خطة جديدة ولا أي شيء، حياته مستمرة كما هي، إذًا ماذا استفدت؟

أنت خرجت من رمضان كما دخلت، خرجت من العمرة كما دخلت، خرجت من الحج... خرجت من مواسم العشر ذي الحجة... خرجت من هذه المواسم كما دخلت –دون أن تتغير–، قضية الحسنات أمر هام جدًا وهو أصلًا الذي يعطينا الزاد، هو الذي ينجينا من عذاب الله عز وجل يوم القيامة، أسال الله عز وجل أن يدخلنا الجنة جميعًا بغير سابقة عذابٍ ولا حساب.

لكن الإشكالية أن يكون تفكيرك أنني سأتعامل مع القرآن على أن الكلمة فيه بحسنات والحرف بعشر حسنات وأكتفي بذلك، ختمت واااا... **ختمت، لكن ماذا فعل القرآن فيك؟**

هل تشعر أنك متضايق من نفسك بعد سورة كذا، هل تشعر أن عندك مشكلة بعد سورة كذا، الصحابة لما نزلت عليهم هذه السورة {أَيُّكُم زادَتهُ هذِهِ إيمانًا}[التوبة: ١٢٤] من الذي تغير بعد هذه السورة من الذي تغير بعد هذا الموسم، من الذي أحس بنقلة نوعية في حياته، يشعر أن تفكيره صار أنضج، يشعر أنه يحمل همومًا مختلفة، أحس أنه يرتقي، فوجئ أنه يسعى في هموم لم يكن يفكر فيها من قبل، يفاجأ أنه بدأ يجري على لسانه أدعية لم يكن يدعو بها من قبل، في نصرة الدين أو الفردوس الأعلى أو رؤية وجه الله، يفاجأ إن همومه اختلفت، ظهر هذا في اهتماماته في ترتيبه لوقته، في دعائه، في أصدقائه، تغير وهذا أهم مقصد من مقاصد مواسم الطاعات.

ومن رحمة ربنا سبحانه وتعالى أن مواسم الطاعات فيها الكل يسايرك، فالتيار المواجه قليل، ففي رمضان أبواب النار تغلق وأبواب الجنة تفتح، تصفد الشياطين، غالب الناس يتجه للطاعات (يا باغي الخير أقبل

يا باغي الشر أقصر)[3]، غالب الناس يتجه للصيام، قرآن، عمل الخير، يريدون عمل إفطار للصائمين، تجد الخير منتشر، والخير في أمة النبي صلى الله عليه وسلم إلى يوم القيامة.

تجد الخير يعم ففي هذه اللحظات تقنعهم أن هذه هي الحياة، أن هذه الطاعة هي ما أتمناه، ما سمعته الآن في القرآن هذا هو طموحي، هكذا هو بدأ يتغير، الناس ترجع بعد رمضان وهو ثابت لأنه –عمله وعبادته– كان غَرْسًا وليس مجرد فسحة، هو لم يكن يتفرج على الإيمان من بعيد ويرجع، لا هو خطى خطوات ثم وضع الغرس، لم يعد ليتراجع مرة أخرى، كلما تقدم خطوة يغرس ويقف في هذا المكان ثم يرتقي، هذه أهم استفادة، التعامل مع مواسم الطاعات.

لذلك سئل أحد السلف ما تشتهي قال: "أشتهي أن يُفتح لي صدري ثم أنظر، ماذا فعل القرآن في قلبي وما نكأ"، ماذا فعل القرآن في صدري، وكيف نكأ؛ "النكء": الطعن، أنت عندما تزور مريضًا تقول: "اللهم اشفِ عبدك، ينكأ لك عدوًا ويمشي لك إلى صلاة"؛ أنت من مقاصد أنك تدعو لأحد بالشفاء: من أجل عباداته ومن أجل نُصرة الدين وأن يطعن في أعداء الله، وأن يكون غُصة في حلوق أعداء الله؛ هذا طموحك، أنت تريد الصحة لماذا؟ تريد الصحة لإجل هذا، فتدعو له كما تفكر لنفسك (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)[4]، "اللهم اشفِ عبدك فلان، ينكأُ لك عدوك"؛ انظر هذا النكء، هذه الغرسة التي تغير في العدو! القرآن ماذا نكأ في قلبك؟

القرآن له ثِقل، المفترض أن تشعر بتنهيدة؛ –أي لسان حالك– هل أنا مطلوب مني أعمل هذا؟ لا يجوز أن نتعامل مع القرآن –وخاصة في رمضان– بنظرية التخطي –الزحلقة–، فيقول وما شأني أنا! هناك ناس تتخطى –تزحلق– الآيات! معتقدين أن هذا الكلام ليس موجهًا لهم، فمن المخاطب به إذًا؟ يقول:

[3] إذا كانَت أوَّلُ ليلةٍ من رمَضانَ صُفِّدتِ الشَّياطينُ ومَردةُ الجِنِّ وغلِّقت أبوابُ النَّارِ فلم يُفتَحْ منها بابٌ وفُتِحت أبوابُ الجنَّةِ فلم يُغلَقْ منها بابٌ ونادى منادٍ يا باغيَ الخيرِ أقبِلْ ويا باغيَ الشَّرِّ أقصِر ولِلَّهِ عتقاءُ منَ النَّارِ وذلِك في كلِّ ليلةٍ
أبو هريرة • الألباني (ت ١٤٢٠)، صحيح ابن ماجه ١٣٣٩ • صحيح • أخرجه الترمذي (٦٨٢)، وابن ماجه (١٦٤٢) واللفظ له

[4] [عن أنس بن مالك:] لا يُؤْمِنُ أحَدُكُمْ، حتّى يُحِبَّ لأخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ.
البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ١٣ • [صحيح] •

"هذا الكلام ليس مطلوبًا أننا ننفذه"، أنت قد تكون لا تستطيع أن تنفذه غدًا لكن هذا هدف، هذا طموح، هذا أمنية {وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ}[النساء: ١٠٠] لو أدركك الموت وأنت في الطريق لتحقيق هذا الطموح، بإذن الله عز وجل فقد وقع أجرك على الله عز وجل.

لكن الإشكالية أن لا يكون عندك هذا الطموح، أن يتوقف الطموح الإيماني؛ مع وجود الأزمات الاقتصادية وضغط المجتمع، والمجتمع بأغلبه يتجه إلى الطموح الاقتصادي... أين الطموح الإيماني؟ فرصة مواسم الطاعات أن الإنسان يتوقف مع نفسه ويجلس هذه الجلسة؛ يسأل نفسه: ما هي الكُدية؟ لماذا عندي إشكالية في جلسة الضحى؟ لماذا عندي إشكالية في طلب العلم؟ ما الذي يوقفني؟

كنت أقرأ كتابًا اسمه "المرقاة" كتاب جميل للشيخ سُليمان العبودي، كان يقول: بعض الناس أحيانًا تتفاوت في طلب العلم والذكاء، فيقول أن بعض الناس تحلل هذه الظاهرة دائمًا على أن هذه اختلافات فردية ،أن فلان ذكي وعنده إمكانية الحفظ، وفلان ليس لديه هذه الإمكانية...ويقول أنك تُفاجأ أن فلانًا هذا الذي لا يطلب العلم، وعندما تسأله لم لا تطلب العلم؟ فيدعي أنه ليس لديه تلك الموهبة، تُفاجأ أنه على علم بكل أنواع السيارات، وأنواع المحركات، ويعرف كل أنواع الفرق، وأسماءهم، وعنده معلومات هائلة!، قد يكون كم هذه المعلومات وتنوعاتها وأفرادها أكثر من كم المعلومات وأفرادها التي يحفظها طالب العلم.

قد يكون علم الرجال –رجال الكرة– الذي يحفظه هذا المهتم بمباريات الكرة أكثر من علم الرجال الذي درسه طالب علم الحديث المبتدئ الذي يدرس المصطلح، ويتعلم عن الثقات، وبعض رجال البخاري، في حين أن الآخر يعرف رجال أسبانيا، وإيطاليا، وبريطانيا، وأنواع الدوري وبالتأكيد المحلي والخارجي يعرفهم جيدًا...فلديه كم هائل من المعلومات!، **إذًا أنت عندك القدرة، لكن الفكرة أنت كيف وجهت هذه القدرة، كيف سخرتها؟** الطموح والحب يولد أفكارًا لا تخطر ببال الإنسان، الإنسان عندما يكون يحب شيئًا وحريص جدًا عليه، ربنا سبحانه وتعالى يرزقه أفكارًا، فتوحات من عند ربنا سبحانه وتعالى ينصر بها هذا الدين.

كان أحد الأخوة –توفاه الله عز وجل، أسأل الله عز وجل أن يرحمه– فقبل أن يُتوفى كان ابتلي بسرطان في المخ، هذا الورم ظل يكبر وضغط على مراكز السمع ومراكز البصر، فأصبح في آخر حياته لا يستطيع أن يسمع ولا يستطيع أن يبصر.

فذهبت مع أحد مشايخنا الكرام لزيارته، فوجدنا أمه –كانت ما شاء الله لا قوة إلا بالله تلهج بالحمد– فتخيل ابنها لا يسمع ولا يرى، فسألها الشيخ: "كيف تتواصلين معه؟ إذا أردت أن تقولي له شيئًا أو هو يقول لك شيئًا فكيف تتواصلان؟ وهو لا يسمعك ولا يرى"، فقالت: –سأريكم تجربة عملية– ماذا تحبون أن تقولوا له؟ فقال لها الشيخ "أن ربنا يحبك وأن ربنا ابتلاك لأنه يحبك ونحن أيضًا نحبك لأن ربنا يحبك"، فجلست وأخذت يده، وبدأت تكتب على يده؛ تكتب حرف با فهو يقول با، حا فيقول حا، ولو قرأها خطأ وقال نون فتمسح على يده كأنها مسحت الحرف؛ وتكتب وبعدما تنهي الكلمة تضع نقطة فيقول الكلمة "بحبك"! فالشيخ سألها من علمك هذه الطريقة؟ لم يعلمها هذا أحد من الناس، هي من حبها لابنها وحرصها أنها تتواصل معه، ربنا سبحانه وتعالى فتح عليها بهذه الطريقة.

الذي يحب الدين ويريد أن يصل ربنا سبحانه وتعالى يفتح عليه... هي قضية صدق! قال النبي صلى الله عليه وسلم للصحابي(أصدق الله يصدقك).

من المواقف المؤثرة جدًا، التي تتكرر دائمًا في الحج والعمرة أنك تجد طفلًا تائهًا. فيكون في قمة البكاء ولا يتوقف عن البكاء إلا لشهقات تكاد أن تخرج روحه معها ثم يعود إلى البكاء. العجيب أن الطفل يبكي وحوله الشرطة والناس، ويعطوه العصير والحلوى ولايزال يبكي ولا يهدأ إلا في حضن أمه.

فهناك أيضًا شخص يشعر بهذا الإحساس في علاقته بربنا، يشعر أنه تائه، ولا يكف عن البكاء إلى أن يشعر أنه بدأ يمشي على الطريق، مهما كان معه من أسباب دنيوية، مهما كان معه معارف؛ هناك شيئًا

ينقصه، زرع هذا الشعور هو أهم شيء في مواسم الطاعات، أنك تزرع شعور الاحتياج، أنك تزرع شعور أنك تتمنى أن تعمل شيئًا، أن يكون عندك صدق.

أحد الأخوة قابلته، كان من الذين عملوا فترة للدين ثم توقف –ربنا يستعملنا جميعًا ويثبتنا–، فأنا لمست في كلامه حالة من البرود وهو قال لي ذلك، قلت له أنا أرى أن كلامك الآن اختلف عن الماضي، ليست هذه طموحات وكلام الماضي هناك شيئًا تغير!؛ فقال: "فعلًا أنا أعاني" –هو تأثر بأوضاع معينة وبيئات معينة فبدأ حماس الدين عنده يخفت–، فقال لي دعنا نبحث عن حل، فقال إذًا نعمل جدول: ١، ٢، ٣، أنا سأعمل كذا وكذا وكذا فقط والوضع سيعود كما كان.

فأنا شعرت أنه سيقوم بهذه الأشياء بنفس البرود ولن يحدث شيء، توجد إشكالية، هناك شعور ناقص؛ القضية ليست مجرد أوراد تُفعل بقلب ميت، هناك إشكالية أعمق من هذا، صحيح أن العمل الصالح سيزيد الإيمان، لكن هو يحتاج أن يسير في الاثنين معًا– **القلب والجوارح**–.

إشكالية أننا ندخل مواسم الطاعات ببعض الأوراد مع قلب بارد هذه هي الإشكالية، أنني أقتصر على صلاة التراويح، فمثلًا لو كنت مدعوًا على الإفطار وكان يوجد محشي وبط فثقلت، فنزلت التراويح ولم تشعر إلا وهو يقول "السلام عليكم ورحمة الله، السلام عليكم ورحمة الله"، أو صحيت على صوت من بجوارك وهو يقول "آمين" في آخر ركعة، فقلت مثله آمين، ثم السلام عليكم ورحمة الله، السلام عليكم ورحمة الله؛ وتعود لبيتك مُستشعرًا حديث (من صلى مع الإمام حتى ينصرف. كُتب له قيام ليلة كاملة)[5]، فإذا قلت له: ألن تصلي قيام؟ يقول: لا، كتب لي ليلة كاملة!!!

ألا تشعر أن هناك شيئًا ينقصك... لا فأنا قرأت وردي من القرآن بالنهار وفي الليل صليت التراويح، ماذا تريد مني؟!

[5] [عن أبي ذر الغفاري:] صُمْنا مع النَّبيِّ الله صلّى اللهُ عليه وسلَّم رمضانَ فلم يقُمْ بنا في السّادسةِ وقام بنا في الخامسةِ حتّى ذهَب ينتظرُ اللَّيلَ فقُلْنا: يا رسولَ اللهِ لو نفَّلْتنا بقيّةَ ليلتِنا هذه فقال: (إنَّه مَن قام مع الإمامِ حتّى ينصرِفَ كُتِب له قيامُ ليلةٍ) ثمَّ لم يُصَلِّ بنا حتّى بقي ثلاثةٌ مِن الشَّهرِ فقام بنا في الثّالثةِ وجمَع أهلَه ونساءَه فقام بنا حتّى تخوَّفْنا أنْ يفوتَنا الفلاحُ قُلْتُ: وما الفلاحُ؟ قال: السَّحورُ
شعيب الأرنؤوط (ت ١٤٣٨)، تخريج صحيح ابن حبان ٢٥٤٧ • إسناده صحيح على شرط مسلم

أنا لا أريد منك شيئًا، لكنني أرى أن هناك شيئًا ناقصًا أنت بهذه الطريقة لن تتغير –والله أعلم–، ليست هذه هي الأسباب التي ستجعلك تتغير، هناك شيء ناقص! يوجد إشكالية يجب أن تُحل!

مشكلة أننا نتعامل مع مواسم الطاعات، الأيام تمر وأنا أضع علامة صح على خانات الأوراد؛ هذه إشكالية! أنا ذهبت عمرة، تريدون مني كم طوافًا في اليوم؟ هل يكفي طواف واحد؟ إذًا سأطوف طوافًا واحدًا، ما المطلوب أيضًا؟ جزء من القرآن، إذًا سأقرأه، وماذا أيضًا؟ ما المطلوب أيضًا لأكون إنسانًا صالحًا وتكفوا عن تأنيبكم لي!!! هلا انتهيتم؟!.

تعامل، أنه يؤدي الأوراد وبعد انتهاء الموسم لا يشعر أنه تغير ويشتكي من عدم حدوث تغيير!،... طريقتك هذه ليست هي سبيل التغيير!

قد يحدث التغيير بإذن الله عز وجل لو استمر وجاهد نفسه حتى لو لم يكن يشعر في البداية...كما قلنا فكرة أني لا أجد قلبي لا يجب أن تكون سببًا للتوقف، لكن أنا أقصد أن يكون هناك محاولات لإحياء هذا الشعور مهم ألا تتحول الأوراد لمجرد وظيفة! أو شيء بارد أقوم به بقلب بارد!

أنا هنا لا أخاطب الذي يريد برنامجًا لمواسم الطاعات يحصد به كم كبير من الحسنات –وهذا مهم جدًا جدًا–، أنا أتكلم اليوم عن أنه لابد كل شيء يحدث بالتوازي، أتحدث عن كيف يحاول الإنسان – قدر المستطاع– أن يجعل هذا الموسم موسم تغيير، فيخرج من رمضان فلا يعود لنفس أصحابه، ونفس طريقة التفكير، ونفس الهموم ونفس الإشكاليات وأي إشكالية صغيرة جدًا في الدنيا تنغص عليه وتجعله مهمومًا، ويبدأ يترك العمل للدين لأبسط الأسباب وأي شيء أنجزه في الدين؛ حفظ القرآن، طلب العلم، يتوقف مع أدنى كدية، أو حتى مع زلطة صغيرة وليس كدية!... فيتوقف.

هذه إشكالية، والمواسم تمر تلو المواسم ثم يُفاجأ! فالمشكلة أن الذي لا يتدارك نفسه مبكرًا حياته يحدث فيها استقرار دنيوي، تزوج وأنجب واشتغل والدنيا استقرت عنده بهذا الشكل ولم تعد توجد مساحة للتغيير الديني في حياته، فيكون التغيير هنا أصعب.

عذرًا الكلام صادم، لكن في هذه الحالة فعلًا التغيير يكون أصعب لأن الذين سيواجههم أكثر، الإنسان بمفرده ممكن أن يضغط على نفسه، لكن حين يكون معه زوجة وأولاد؛ فإنه يشفق عليهم، وهناك أناس لم يهاجروا بسبب الزوجة والأولاد، ونزلت فيهم آيات، وكانت المرأة تبكي لزوجها وتقول: "أتتركنا وتهاجر، ستضيعنا..." فلم يهاجر، {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ}[التغابن:١٤] .

فأنت كلما أكثرت العلائق كل ما احتجت مجاهدة أكبر، فالإنسان لا يترك نفسه يصل إلى حالة الإستكانة، {فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ}[آل عمران: ١٤٦] استسلم، بدأ يبحث عن كيانه، أحد التوجيهات اللغوية الألف والسين والتا، بدأ يطلب ويبحث عن كونه هو، أنا ماذا أكون؟

بدلًا من أن كان يبحث أنا ماذا سأعمل للدين بدأ لا يفكر إلا في نفسه فقط، وقد أعجبني كتيب جميل من الهيئة العالمية للتدبر اسمه "التدبر المفصل"، مكتوب فيه كل آية وعليها تعليق صغير، فقرأت فيه في سورة الحديد في آية {لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ}[الحديد: ١٠] فأعجبني التعليق الصغير، ماذا يقول؟

استويا في المجهود والبذل، واختلفا في الوقت، أي أن هذا أنفق وقاتل وهذا أنفق وقاتل، المجهود والبذل متساويان، لكن فيما اختلفا؟ في التوقيت، فاختلفا في الأجر؛ هذا قبل الفتح، في لحظات الاستضعاف، ووقت احتياج، ووقت نفور الناس {إِذۡ تُصۡعِدُونَ وَلَا تَلۡوُۥنَ}[آل عمران: ١٥٣] الكل يتولى وهو ثابت، فهذا أجره أعظم، حتى لو جاء واحد بعده وعمل نفس العمل، لكن لن يأخذ نفس الأجر.

مثل صلاة الجماعة؛ إذا دخل رجل قبلك بخمس دقائق أدرك الجماعة ورجل دخل متأخرًا وصلى منفردا –لو تأخر بدون عذر–، فالأول له سبعة وعشرون درجة، والثاني له درجة واحدة، نفس الصلاة وعدد الركعات، لكن اختلفت في الأجر، فالتوقيت مهم.

إذًا ضبط الوقت مهم، ومسألة أنك تبذل وتتحرك في وقت نفور وإعراض الناس وأنت تعاكس التيار هذا ثوابه أعلى.

إذاً أنت تحتاج في مواسم الطاعات أن تختلي بنفسك في جلسات صدق وتسألها ما الذي يعطلني؟ وإذا كنت أرى أن الذي يعطلني مستحيل أن يتغير، فهل معنى ذلك أن أفقد الأمل؟ لا... أنا لم أقل ذلك.

أولًا هذا الشيء الذي تعتقد أنه مستحيل أن يتغير قد تستطيع أن تغيره، فكثير من الناس قالوا مثلك: "مستحيل، ولن أستطيع أبدًا" ولكن بعد ذلك تغيروا، وأصلًا صيام رمضان ثلاثون يومًا في حر الصيف هذا دليل أن الإنسان بفضل الله عنده قدرة على التغيير وأن بداخله طاقات كامنة لكن تحتاج أنها تُستَخرَج.

الصحابة كانوا قبل مجيء النبي صلى الله عليه وسلم وقبل بعثته كانوا يشربون الخمر، وكانوا يتقاتلون على الناقة، وكان منهم من يعبد الأصنام، وكانوا وكانوا...، وبعد ذلك أصبحوا خير أمةٍ وخير ناسٍ من أتباع الأنبياء! إذًا حدث تغيير، هذا الخير كان بداخلهم... قاتل المئة، كان الخير بداخله، فلماذا تفترض أنك لن تتغير؟ لماذا تفترض أن الحياة استقرت على هذا الوضع!

مواسم الطاعات تعطيك قدرة –بفضل الله– وزاد إيماني أنك تأخذ القرارات، لذلك القاعدة: استغل فترات القوة واحترم لحظات الضعف. احترم لحظات الضعف أنك حين تكون ضعيف الإيمان فلا تذهب لمواطن الشهوات، لا تذهب إلى مواطن الشبهات، حتى لو كنت تذهب إليها وأنت في لحظات قوتك

ولا تتأثر فلا تذهب في لحظات الضعف، حين تكون في أوقات القوة استغلها، خد القرارات، اربط نفسك، ثبت، اذهب لصديق وقل له هيا نبدأ مع بعض كذا، طلب علم، ابدأ حفظ القرآن.

ابدأ اتخذ قرارات في رمضان، ولا تكون مجرد عزيمة باهتة أو عزيمة ساخنة تفتر سريعًا، لماذا تفتر؟ لأن لم يتبعها عمل... فاجعل مواسم الطاعات بعد ما تفكر؛ أنا لماذا لا أحفظ القرآن؟... لماذا أنا ممكن أذاكر وأدرس أشياء باللغة الإنجليزية وأبذل جهدا في هذا، فلماذا لا أعطي وقتًا للقرآن؟!

الإنسان حين يتوقف مع نفسه هذه الوقفات يفاجأ أن عنده إشكاليات في حياته، إشكاليات هو كان متجاوزها في التفكير، لماذا أضيع وقت كذا؟ أليس عندي يوم كذا لست مشغولًا فيه؟ لماذا لا أستغله؟ لماذا لم أتعلم أحكام الصلاة أصلًا؟ كيف أكون رجلًا بالغًا عاقلًا ولا أعرف أحكام الصلاة ولم أسمع أحكام الصلاة بشرح علمي وأدعي أنني رجل ملتزم؛ كيف؟!

قف مع نفسك هذه الوقفات، استشر، اجعل مواسم الطاعات فرصة لاكتشاف الكُدَى الموجودة في حياتك، قد تكون كُدَى نفسية، حجر نفسي منعك من الانطلاق، قد يكون الخوف؛ أحد الكُدَى النفسية أنك خائف؛ تقول: أنا سمعت أن الذي يسلك هذا الطريق يبتلى، أنا سمعت أن الذي يسلك هذا الطريق يخسر دنياه، أنا خائف أتقدم في هذا الطريق، بصراحة أنا أخاف لو زدت أكثر مما أنا عليه في الدين الابتلاء سيزيد لأن (يبتلى المرء على قدر دينه)[6] ، فسأكتفي أن يكون ديني قليل لكي يكون البلاء قليلًا، فقد تكون إشكالية نفسيه، –وإن كانت هذه إشكالية عقلية– لكن قد تكون إشكالية إنه خائف، فيحتاج إلى من يفهمه ويطمئنه.

[6] [عن سعد بن أبي وقاص:] أشدُّ الناسِ بلاءً الأنبياءُ، ثم الأمثلُ فالأمثلُ، يُبتلى الرجلُ على حسَبِ دينِه، فإنَّ كان في دينِه صُلْبًا، اشْتدَّ بلاؤه، وإن كان في دينِه رقةٌ ابْتُلِيَ على قدْرِ دينِه، فما يبرحُ البلاءُ بالعبدِ حتى يتركَه يمشي على الأرضِ وما عليه خطيئةٌ
الألباني (ت ١٤٢٠)، صحيح الجامع ٩٩٢ • صحيح • أخرجه الترمذي (٢٣٩٨)، وأحمد (١٤٩٤)، والدارمي (٢٧٨٣) باختلاف يسير.

قرأت أثرًا جميلًا اليوم للإمام قتادة في تفسير ابن كثير أظنه كان في تفسير {وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا}[التوبة:١٢١] قال: "ما ازداد عبدٌ من قومه ومن أهله بعدًا في سبيل الله إلا ازداد من الله قربًا"، يقول هؤلاء يسيرون ويبتعدون عن أهليهم ويقطعون الوديان ليصلوا إلى أعداء الله، فيقول في تفسير {وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا} ذكر الأثر الإمام ابن كثير قال: "ما ازداد عبد بعدًا عن أهله أوعن قومه في سبيل الله – يبعد عنهم لكي يرضي ربنا– إلا ازداد من الله قربًا".

فأحيانا قد يعتقد المرء أنه يبتعد عن مواطن الأمان لكنه في الحقيقة يقترب منها، أحياناً لا يفهم المرء أصلًا معاملة ربنا، لا يفهم أو لا يوقن أن {لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ} الله يملك كل شيء، تخيل أنك تقترب، تحاول {واسْجُدْ وَاقتَرِب}[العلق: ١٩] من الملك سبحانه وتعالى بهذه الطاعات ثم تخاف! قد تكون إشكالية نفسية تحتاج معالجة، قد تكون إشكالية حقيقية هو لا يفهم كيف يتجاوز هذه المعصية.

فمثلًا تكلمت مع أحد الإخوة وأخذ قرارًا رائعًا في الدين أن يترك بيئة معينة فيها فتنة دنيوية، قرار صعب جدًا لكن بعد ما تركها وأخذ القرار مازال متواصلًا معها، فقلت له أنت ما شاء الله أخذت قرارًا أشبه بحديث الثلاثة والصخرة (فقمت عنها وهي أحب الناس إليّ) لكن بعد ذلك ظل على تواصل معها، لماذا؟!

فأحيانًا يأخذ أحدهم القرار الصعب لكن الشيطان يقول له كن على تواصل فأنت بفضل الله انتهيت وبعدت عن المشكلة!... لا... أحيانًا تحتاج إلى بتر، أحيانًا الموضوع يحتاج أنه يبتر العلاقة بأي بيئة فاسدة تمامًا لفترة، لأن طالما يوجد بابًا مواربًا فقد تعود وتنتكس.

كل هذه إشكاليات، كدى... يقول لك أنا جربت مائة مرة ووقعت مرة أخرى، نعم لأنك جربت بطريقة خطأ، الموضوع يحتاج أنك تختلي بنفسك في مواسم الطاعات، بعد ما سمعت القرآن، وصليت، وأخذت الزاد الإيماني، تعامل مع الموسم على أنه زاد للتغيير وليس فسحة للتأثير.

هناك ناس تشعر براحة نفسية بعد ما تصلي التراويح...خذ خطوة للأمام! لكن تجده يعود ليمارس حياته كما كان من قبل دون أي تغيير،ثم يعاود الكرة ،إيمانه يزيد ويشعر براحة ثم يعود مرة أخرى وينتهي رمضان على هذا الحال، كيف!

أنت قطعت شوطًا فخذ قرارات وتغير، فكر وانتقل، ارتقِ، اقرأ القرآن، القرآن فيه رُقِي، اقرأ وارتقِ، إذا كنا نقرأ ولا نرتقي إذًا هناك إشكالية في تعاملنا مع القرآن، اقرأ وارتقِ و رتل، ترتيل القرآن وآيات القرآن تؤدي إلى الرقي في درجات الجنة.

وهذا يعني أنه لابد أن يؤدي إلى رقي في درجات الدين في الدنيا، فكيف تختم ختمة كاملة ولا يحدث أي تغيير؟! كيف تقرأ القرآن كاملًا في رمضان في موسم طاعات ولا يحدث تغيير؟!

كنا تكلمنا في سورة المزمل في تفسير {إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا}[المزمل: ٦] وتعبير "الوطء" هذا أشبه بتعبير "النكأ" الذي استعمله أحد السلف، للتعبير عن التغيير الذي يُحدِثه القرآن...

فحين تسمع آية {وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ}[الحج: ٧٨] ماذا تقول لربنا؟ ما هو شعورك وأنت تتلقى هذه الآية؟!

وحين تتلقى آية {أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ}[الزمر:٩] ...

حين تتلقى آية {يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ}[سورة التوبة: ٣٢]، كيف نتلقاها ؟ ما الذي يحدث بداخلي نفسياً؟

جبير بن مطعم سمع سورة الطور فقال: "كاد قلبي أن يطير"، شعر أن ضغط المعاني يكسره فأسلم...

فماذا يفعل ضغط معاني القرآن فينا نحن؟ المفترض أن يدفعنا دفعًا للارتقاء، وإلا الإنسان يصل إلى حالة من البرود، يسمع آيات تهد الجبال {لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ} تراه بعينك هكذا مشهد جبل {خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ}[سورة الحشر: ٢١] شعور خشية الله الذي يُحدِث تصدعًا هذا شعور مطلوب من القرآن، فأنت دخلت مواسم الطاعات فتخرج من غير هذا الشعور ولو مرة؟! كيف تخرج من رمضان ولم تشعر بهذا التصدع ولو مرة؟!

ابن القيم جمع التنهيدات التي ممكن الإنسان وهو يقرأ القرآن يتنهدها، أحدهم مثلًا له ذنب لا يستطيع أن يقلع عنه، أو مقام إيماني لاح له ولا يستطيع أن يصل إليه، فجمع -أظن- خمس مواقف ممكن الإنسان حين يقرأ القرآن أن يُخرِج النفس كحالة التأوه.

حين تقرأ في تفسير {إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ}[التوبة: ١١٤] فقالوا من معاني الأواه: كثير التأوه، "التأوه" يكون من شدة الضغط عليك، فحالة الضغط هذه تجعل النَّفَس حين يخرج أشبه بالتنفيث كأنك ستنفجر، ما هي المعاني الضاغطة التي جعلت سيدنا إبراهيم يكثر من التأوه؟ لماذا كان يتأوه؟

حين تنظر إلى موطن كلمة "أواه" تجدها جاءت مرتين في القرآن، راجع أنت الموطنين لتعلم في أي مقام ذُكِرا؟ جاءت في سورة التوبة وسورة هود، مرة مع قوم لوط لما سمع -إبراهيم- بنزول العذاب، ومرة مع والده، في الموطنين نزول العذاب على الغير، كان يتألم يتمنى أن ينقذهم فيتأوه لأجلهم.

ونلاحظ هنا أن المفسر دائمًا يحاول أن يصل لماذا كان إبراهيم يتأوه؟ كما في تفسير دعاء إبراهيم في قوله تعالى {رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ} جاءت في أي سورة؟ سورة إبراهيم، قال بعض المفسرين أن سياق الآية يفيد أنه قالها لحظة تركه أمنا هاجر وسيدنا إسماعيل في الصحراء، وهو يمشي فدعا، فمن ضمن الدعاء الذي قاله وهو يتركهم {رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ}[إبراهيم: ٣٨] فالعلماء قالوا ماذا كان يخفي إبراهيم؟ فقال بعضهم أن قوله "ما نعلن" المقصود به الدعاء الذي قاله، الدعاء الموجود في سورة إبراهيم {رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ (35) رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ

كَثِيرا} هذا الذي أعلنه إبراهيم، إذًا ما الذي كان يخفيه؟ فبعضهم قال: "يا رب أنت تعلم خوفي على هاجر وعلى إسماعيل وإني تركتهما بمفردهما"، وبعضهم قال: لا، الذي كان يخفيه إبراهيم عليه السلام: "يا رب إنك تعلم أني لو عندي شيء أغلى من هذا سأضحي به،أنت تعلم حبي لك"، فهنا أنت تحاول أن تقترب من المشاعر التي كانت بداخل سيدنا إبراهيم –حتمًا لن نصل– لكن تحاول أن تقترب لهذا النور الذي كان في قلب إبراهيم عليه السلام في هذه اللحظات، فأنت هنا تريد أن تعرف لماذا كان سيدنا إبراهيم يتأوه؟

أنت حين تصلي على النبي صلى الله عليه وسلم تقول: اللهم صل على محمد كما صليت على إبراهيم اللهم بارك على محمد كما باركت على إبراهيم، وحين تنتهي من الطواف في الحج أو العمرة فإنك تصلي عند مقام إبراهيم، اختيار هذا الموطن تحديدًا لتصلي عنده ركعتين بعد الطواف يعني أنك تسير على الدرب.

فالطواف كما قال ابن عاشور: أشبه بطلب الإذن بالدخول، لما تكلم في {إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِف مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ}[الأعراف: ٢٠١] قال أن من عادة بعض العرب أحيانًا أنه حين ينزل في مكان فإنه لا يقتحم وإنما يطوف حتى ينتظر الإذن أدبًا، لذلك فإن الطواف يكون قبل السعي، قبل أن تجري وتسعى لتنصر هذا الدين أو تعمل أي شيء أنت في البداية تطوف لتطلب أن ربنا يأذن لك ويسمح لك، الموضوع ليس مجرد أنك طفت وطلبت الإذن من الله عز وجل، بل أنت جأرت إلى الله وتضرعت ودعوت وحين أنهيت الطواف يا رب ائذن لي، تريد أن تذهب لتسعى وتجري لكي يأتي الفتح في النهاية.

ما بين الطواف والسعي أنت تعمل شيئين:

١-تصلي عند مقام إبراهيم وذلك يعني أنك ستسعى ليس على هواك وإنما بمنهج {وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم}[المائدة: ٤٦] أنت تسير علي آثار الرسل، أنت تسعى على أقدام الأنبياء ولا سيما إبراهيم، لذلك أنت تصلي عند المكان الذي انغرس فيه قدم إبراهيم، أين؟ في الصخر.

قدم سيدنا إبراهيم علمت في الصخر في بناء التوحيد، لذلك أنت تصلي عند المقام وتقرأ سور التوحيد، البراءة من الشرك والمشركين "سورة الكافرون"، والإقبال على التوحيد (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)" سورة الإخلاص"، تقرأ هاتين السورتين لأن هذا هو هدفك إقامة بناء التوحيد كما أقامه إبراهيم عليه السلام.

٢-وبعد ذلك تذهب لتشرب من زمزم وترتوي وهذا ممكن يكون ماء الوحي.

وبعد ذلك تسعى، وفي النهاية الفتح جاء من تحت قدم طفل رضيع، أنت لا تعرف الفتح من أين يأتي؟ ليس بسعيك، جاء من تحت قدم إسماعيل عليه السلام، لا تعرف من أين سيأتي الفتح؟ قد تظن أنك طالما طفت وصليت وسعيت فسيأتي الفتح من تلك الأسباب، وفي النهاية يأتي الفتح مثلما نبع الماء للسيدة هاجر، جاء جبريل عليه السلام بأسباب فوق طاقة البشر في مكان غير ذي زرعٍ لكن هو عند بيت الله الحرام، في النهاية نبع هذا الماء المعين ماء زمزم.

فالشاهد أنك تحاول أن تبحث لماذا كان سيدنا إبراهيم يتأوه؟ **لأنك تريد أن تسير على الدرب**، هذه المشاعر هي ما نريد أن نخرج بها من القرآن في رمضان، أريد أن أوقظ مشاعر تدفعني دفعا للبذل كالأم التي ظلت تفكر كيف تتواصل مع ابنها.

هناك مشاعر حين تستقر في قلب الإنسان هذه المشاعر -مشاعر الصدق- تدفعه دفعًا، ويأتي الفتح.

لكن أن تتحول مواسم الطاعات لمجرد أوراد باهتة فهذا قد يُقبل من شخص في مرحلة أنه لم يكن يصلي فنقول له صلِّ حتى لو لم تكن تشعر بهذه المشاعر، ولا تجد فَرقًا، والصلاة لا تغير فيك شيئًا، نقول له صلِّ وستتغير لاحقًا... لكن شخص على هذا الحال منذ سنوات ولا يتغير هذا عنده إشكالية، لماذا لا ترتقي؟ ما المانع من الارتقاء؟

هذا هو المفترض في مواسم الطاعات، أن يكون فيها جلسات الصدق مع النفس، أن أنفرد بنفسي وأفكر ما هي الكدية؟ ما هي إمكانياتي؟ لماذا لا أُوظف إمكانياتي؟ كما تكلمنا في درس إشكاليات اختيار الثغر، أحيانًا تكون المشكلة هي عدم الصدق، أحيانًا يأتي أحدهم ويحكي مشكلة بصورة ما يريد بها أن يحصل على الرخصة، فيقول أنا عندي كذا وظروفي كذا، فيقول له الشيخ لا يلزمك أن تعمل كذا فأنت مضطر، ويأتي شخص آخر له نفس الظروف لكنه يحكيها بطريقة متزنة ولا يبالغ، فيقول له الشيخ لا أنت عليك أن تصبر وممكن نجد حلًا.

مثل قصة الغلام في أصحاب الأخدود، أحيانًا الشخص يريد حلًا، فالغلام لما جاء للراهب قال له أنا أُضرَب مرتين، إذا ذهبت إلى أهلي يضربوني لأني تأخرت، وإذا ذهبت للساحر يضربني لأني تأخرت،- وكان يتأخر بسبب جلوسه مع الراهب- فماذا أفعل؟

هذا ليس سؤال المتنصل، هناك من يسأل السؤال لكي يقول له الراهب لا تأتي إلي ثانية، ويظن أنه ليس عليه ذنب طالما الشيخ أفتاه!، والشيخ هو من سيُحاسب على ذلك، دائمًا يوجد بعض الناس يسأل السؤال لأنه يريد أن يتنصل، ويسأل السؤال بطريقة تفرض على من أمامه أن يقول الجواب الذي يريده هو، ويصيغ السؤال بطريقة تجعلك تبكي وأنت تسمع السؤال؟ فتقول له لا يوجد مشكلة.

فالصدق هنا مهم، النبي صلى الله عليه وسلم يقول أنه يأتي أحيانًا إليه رجلان يتحاكمان إليه صلى الله عليه وسلم فيقول: (لعل أحدكم أن يكون ألحن لحجته من الآخر)[7] ألحن لحجته من الآخر...بمعنى أنه اختصم اثنان إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، أحدهما ظالم والآخر مظلوم، لكن الظالم لَبق ويعرف

[7] سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ جَلَبَةَ خِصامٍ عِنْدَ بابِهِ، فَخَرَجَ عليهم فَقالَ: إنَّما أنا بَشَرٌ، وإنَّه يَأْتِينِي الخَصْمُ، فَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أنْ يَكونَ أبْلَغَ مِن بَعْضٍ، أقْضِي له بذلكَ وأَحْسِبُ أنَّه صادِقٌ، فَمَن قَضَيْتُ له بحَقِّ مُسْلِمٍ فإنَّما هي قِطْعَةٌ مِنَ النَّارِ، فَلْيَأْخُذْها أوْ لِيَدَعْها.
أم سلمة أم المؤمنين • البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٧١٨٥ • [صحيح]

كيف يحكي القصة بطريقة تجعلك ماذا؟... تشفق عليه، فتحكم للظالم، فالنبي عليه الصلاة والسلام يقول: (فإنما أقضي بنحو ما أسمع) لأن هنا النبي صلى الله عليه وسلم قاضي، فلن يطلعه الله على الغيب، وإلا فبقية القضاة كيف سيحكمون، (فأقضي بنحو ما أسمع)[8] فممكن النبي صلى الله عليه وسلم يقضي لشخص لأن هو ألحن بالحجة لكن هو ظالم، فالنبي صلى الله عليه وسلم يقول (إنما أقضي له قطعة من النار فليأخذ أو فليدع).

مع الفارق في القياس والتشبيه؛ أحيانًا الشخص يريد أن يتنصل لكن لكي لا يؤنبه ضميره، يذهب لشيخ فيحكيها بصورة معينة فيقول له اترك كذا، هذه أزمة صدق، حسنًا وبعد ما قال لك الذي تريده، أنت تظن أنك خدعته بذلك؟

فهذه أحيانًا أزمة صدق يحتاج الإنسان يجلس مع نفسه في مجالس الخلوة بعد العبادة ليتأمل، **اعطي لنفسك وقتًا للتأمل**، –وهذا حتى للمجتهد في الطاعة– اسأل نفسك : أين أنا؟ وما الذي أحتاج أن أعمله؟ وأيضًا لا تطيل في هذه المرحلة، من باب النصيحة فالشيطان أحيانًا يقول لك إذًا اترك الطاعات واجلس لتفكر، لا، لأنك لن تستطيع أن تفكر تفكيرًا صحيحًا من غير طاعة أصلًا، نحن نريد التوازن، أصلًا الطاعة هي التي تفتح لك، كما أن السعي جاء بعد الطواف، ففترات الطاعة والدعاء إلى الله سبحانه وتعالى وأنك تلجأ إلى الملك سبحانه وتعالى هذا هو الذي سيدفعك ويكون سببًا للتوفيق لوجود الافتقار والبذل والصدق، وأنك قدمت البذل. يارب أنا صليت ودعوت يارب اهدني يارب لا تتركني، ابكِ بكاء التائه الذي تكلمنا عنه منذ قليل، قل له يا رب أنا تائه، لا أعرف ما الذي يناسبني، ابك لربنا قل له يارب أنا تائه.

كما –أظن الشيخ يعقوب–حكى أنه قابل رجلًا في الحرم يقول له ادعُ لي، فرد عليه الشيخ:قم وادعُ، فقال: ليست عندي القدرة، فقال الشيخ: قل يارب ليست عندي القدرة، أي قل يارب أنا ضعيف، يارب أنا أتمنى أن أكون صالحًا، أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي، اشتكِ نفسك لربنا، قل له يارب

[8] إنكم تختصمون إليّ ولعل بعضكم أن يكونَ ألحن بحجّتِه من بعضٍ، وإنما أقضي بنحو مما أسمعُ، فمن قضيتُ له من حقِّ أخيه شيئًا فلا يأخذْه، فإنما أقطعُ له قطعةً من النارِ
ابن تيمية (ت ٧٢٨)، مجموع الفتاوى ١٢/٢٣ • صحيح

أنا جربت لكني ضعيف أنا ساذج أنا لا أفهم بصرني، لكن لابد أن تكون صادقًا، تريد بصدق لا يستطيع أحد أن يخدع الله، تكون ترغب بصدق أنك تتغير.

أحيانًا يريد أحدهم أن يتغير أو يكون أخذ القرار وتأتي فرصة للتغيير، فيقول لا أنا لم أكن أريد التغير لهذه الدرجة، أنا أريد تغييرًا –متوسطًا– medium وليس –كبيرًا جدا– x large !!!

فأهم شيء أن تكون صادقًا، أنك تجلس مع نفسك وتحدد أنت ماذا تريد؟ {تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ}[القصص:٨٣] تمحض النية وصفاء النية وخلوص النية مهم، ماذا تريد؟

أريد أن أدخل الجنة أريد أن أدخل الفردوس، أن أصل لهذا الصفاء في الإرادة، {مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ} {وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ} [الإسراء: ١٨، ١٩] أني أخرج من مواسم الطاعة والإرادة عندي واضحة فيها صفاء، أزلت الشوائب التي عليها، أزلت ضغط المجتمع وتوجيه الناس والتقاليد، أزلت ذلك فصارت الإرادة صافية خالصة.

هذا يوفق ويسدد، (اهدني وسددني) كما نصح النبي صلى الله عليه وسلم سيدنا علي قال له (تذكر هداية الطريق وسداد السهم)[9] أي وأنت تدعو تذكر أنك شخص تائه ويريد أن يصل وكيف ممكن أن يوصله أحد، ربنا سيوصلك مهما كانت الطرق فيها متاهات، فكما أن السهم يخترق وينطلق ويصل بسرعة هذا هو السداد، تذكر كيف يسدد ويوجه السهم ويصيب وكيف أن هناك ناس عندها القدرة

[9] [عن علي بن أبي طالب] قالَ لي رَسولُ اللهِ ﷺ :قُلِ اللَّهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي، واذْكُرْ، بالهُدى هِدايَتَكَ الطَّرِيقَ، والسَّدادِ، سَدادَ السَّهْمِ .
...]وفي رواية :[قل اللهم إني أسألك الهدى والسداد
مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ٢٧٢٥ • [صحيح]

على توجيه السهم من بُعد ويخترق وينطلق ويصل إلى الهدف، فالله قادر أن يجعلك مثل هذا السهم، إذا كان من البشر من سدد هذا السهم فربنا سبحانه وتعالى قادر أنه يجعلك هكذا.

(تذكر هداية الطريق وتذكر سداد السهم وقل اللهم اهدني وسددني) هذه الدعوة تحتاج صدقًا تحتاج قلبًا صادقًا، استغلال مواسم الطاعات أن الدعوة تخرج من هذا القلب المتعبد الصادق هذا أعلى استغلال لمواسم الطاعات، أن دعوة صادقة تتقبل منك في مواسم الطاعات هذا هو الهدف.

لماذا كثير من الناس يتوب في مواسم الطاعات؟ لأن ثَم دمعة توبة صادقة، كان طلبه صادق أن ربنا ينجيه من الفحشاء والمنكر "اصرف عني كيدهن" خرجت بصدق، فلما قالها بصدق في المواسم والطاعات مع علو الإيمان وإقبال الناس فربنا سبحانه وتعالى هداه.

فنحن نريد الاستغلال الأمثل لمواسم الطاعات، وهذا عنوان الدرس، هذا الصدق في التغيير، أنت قد لا تستطيع أن تتغير في نفس الموسم، فالتغيير يمر بمراحل، ويحتاج أوقاتًا طويلة، إنما أن تكون وصلت لمرحلة أنك حددت هدفك وعندك صدق في التغيير، فهذا الذي أراه –وهذه وجهات نظر– الاستغلال الأمثل لمواسم الطاعات... بالتأكيد مع الاجتهاد في الطاعة، كما قلنا أن الاجتهاد في الطاعات والحسنات هو الذي سيعطي عونًا للإنسان وتوفيقًا وهدى وسدادًا، لأن (ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره...)[10].

أنت لكي تحدد هدفك تحتاج المعية في البصيرة ولكي تسمع المشورة الصحيحة تحتاج المعية في السماع ولكي تسير إلى الله بطريقة صحيحة تحتاج المعية في السير، ولكي يكون السعي الذي تبذله صحيحًا

[10] إِنَّ اللَّهَ قالَ: مَن عادى لي وَلِيًّا فقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ، وما تَقَرَّبَ إلَيَّ عَبْدِي بشَيءٍ أحَبَّ إلَيَّ ممّا افْتَرَضْتُ عليه، وما يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بالنَّوافِلِ حتّى أُحِبَّهُ، فإذا أحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذي يَسْمَعُ به، وبَصَرَهُ الَّذي يُبْصِرُ به، ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بها، ورِجْلَهُ الَّتي يَمْشِي بها، وإنْ سَألَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، ولَئِنِ اسْتَعاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وما تَرَدَّدْتُ عن شَيءٍ أنا فاعِلُهُ تَرَدُّدِي عن نَفْسِ المُؤْمِنِ؛ يَكْرَهُ المَوْتَ، وأنا أكْرَهُ مَساءَتَهُ.
أبو هريرة • البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٦٥٠٢ • [صحيح]

تحتاج المعية، (كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها) فهذا يتحقق أيضًا بكثرة النوافل فهي منظومة متكاملة مع بعضها تكون موجودة بفضل الله عز وجل في مواسم الطاعة .

مسألة الاستعداد الأمثل لمواسم الطاعات أمر طويل وكما قلنا تختلف وجهات النظر، وهذا من رحمة ربنا سبحانه وتعالى بحيث أن كل شخص يُفتح عليه في رؤية نقطة معينة في كيفية استغلال الطاعة، مسألة ترتيب الأوقات فيها كتب جيدة، مسألة اقتناص العبادات، اللذات والثواب الأعلى، بحيث أن الإنسان لا يضيع الوقت وكيف مثلًا أنه ممكن يصلي مع الإمام ليأخذ ثواب الليلة كاملة ثم يصلي بمفرده في التراويح.

فتوجد وجهات نظر كثيرة، وهناك دروس بفضل الله وكتيبات في مسألة الاستغلال الأمثل لمواسم الطاعات، سنحاول **نركز اليوم على مسألة جلسة صدق في محاولة التغيير الصادق** وأن الإنسان لابد أنه يستغل مواسم الطاعات، فرصة علو الإيمان وإقبال الناس، أن التيار المقابل ضعيف بعض الشيء، فتح ربنا سبحانه وتعالى بسبب الاجتهاد في العبادة كل هذه الأسباب من المهم أن يستغلها الإنسان للتغيير.

لا يرتضي بمجرد التأثر فتكون المواسم فرصة للتغير وليست فسحه للتأثر، فيكون سعيدًا أنه تأثر، لا، يجب أن تكون فرصة للتغير، نريد المواسم أن تكون فرصة لكي نتغير، هذا بالنسبة لمواسم الطاعات عمومًا.

أما بالنسبة لرمضان سريعًا:

رمضان قال عنه ربنا سبحانه و تعالى –أسأل الله أن يُبلغنا رمضان– {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ} [البقرة: ١٨٥] إذًا من أهم أهم الطاعات في رمضان قضية القرآن و كان جبريل عليه السلام

ينزل للنبي صلى الله عليه وسلم فيدراسه القرآن فيكون النبي صلى الله عليه وسلم أجود من الريح المرسلة، وهنا أثر لابن عباس في البخاري حيث عقب وذكر أثر تغير النبي صلى الله عليه وسلم كالريح المرسلة بعد مدارسة القرآن، إذًا مدارسة القرآن أدت إلى التغيير في رمضان، فهنا نفس الفكرة مسألة الطاعة التي تولد تغييرًا في حياة الإنسان.

إذًا قضية القرآن في رمضان من أعلى القضايا، حتى الصلاة قدر المستطاع يكون فيها نوع من الإطالة في صلاة التراويح بحيث الإنسان يسمع أكبر قدر من القرآن، أو يصلي حتى بمفرده القيام ليلاً بعد أن يصلي مع الجماعة، ويقرأ أكبر قدر من القرآن مع القراءة في النهار فهو يقرأ أكبر قدر من القرآن، فإذًا العبادة الموجودة طوال النهار والليل هي قضية قراءة القرآن.

بالنسبة لعبادة الصيام فإنها تعين الإنسان على تقليل الشهوات، تقليل انشغال الإنسان، فبالتالي يتجه بكليته وبقلبه للإقبال على القرآن، ذكرنا هذا في سلسلة أظن من ثلاث سنوات مع موقع الطريق إلى الله "رمضان قرب يلا نقرب"، مسألة رمضان والقرآن كانت أربع حلقات عن كيف نستفيد من القرآن في رمضان، وأن حالة الإنسان في رمضان أشبه باللحظة الأولى التي أُنزل فيها القرآن أو أُنزل فيها الوحي عمومًا، لحظات الخلوة ولا سيما في الاعتكاف والبعد عن المشاغل والإقبال على القرآن

إذاً **الأمر الأول...هو الاهتمام بالقرآن.**

الأمر الثاني نحاول أن يكون هناك اهتمام كيفي قدر المستطاع، فلو اجتهد شخص بفضل الله عز وجل في السنوات الماضية في القرآن بمسألة الكم فليجعل اهتمامه هذه السنة بالكيف، اهتمام كيفي بالقرآن ولا سيما لو شخص طوال السنة للأسف مقل في قراءة معاني القرآن، مقل في قراءة التفسير، مقل حتى في فهم مفرادات ألفاظ القرآن، لو مقل في هذا طوال السنة، حاول أن تجعل رمضان –بما أن منسوب البذل لا يعلو إلا في هذا الشهر– حاول هذه السنة تجعل اهتمامك بالقرآن كيفي بعض الشيء.

كيف يكون كيفيًا؟ القضية ليست في عدد الختمات، لا... اجعل القضية أنك قدر المستطاع تعمل موازنة، تفهم وتعايش سورة تصلي مع نفسك حتى لو صليت مع الإمام و انتهت صلاة التراويح بالليل صلي لوحدك صلاة هادئة، اختر سورة تحبها وكررها اعطِ لنفسك فرصة معايشة سورة، اقرأ تفسيرها من أي تفسير و قم صلِّ بها، اعطِ لنفسك هذه الفرصة، لو لم يكن ذلك في رمضان فمتى ستفعلها؟!

اجعل ارتباطك بالقرآن كم كيفي في رمضان، صاحب سورة، اخرج من رمضان بصحبة بعض السور أو سورة طويلة، هذه اختيارات... إذا لم تعملها كلها خذ الذي يناسبك أنت، أنت في رمضان صاحبت سورة التوبة،سورة يونس، سورة يوسف، أو المفصل، أشعر أنني خارج من رمضان في صحبة جديدة في حياتي، أصبحت أترنم وأستشهد بآيات تتبادر مباشرة إلى لساني دون عنت ولا تفكير ولا تكلف، من هذه الآيات أو السور التي أصبحت في جو من الصحبة معها.

يوجد شخص تحتاج أن تفكر لوقت كي تتذكر اسمه لأن علاقتك به والصحبة ضعيفة... ويوجد شخص آخر تتذكره مباشرة أول ما تقع في موقف، فلان الذي سيحل المشكلة... لكن مع القرآن نجد بُعد عهد للأسف! يوجد ناس {أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ}[فصلت: ٤٤] لكن يوجد فرد قريب من آيات القرآن بمجرد أن يحدث موقف فمباشرة يتذكرها، هو حديث عهد بهذه السورة.

فنحن نحتاج أن نجعل ارتباطنا بالقرآن ارتباطًا كيفيًا، حاول أن تقرأ في التفسير، لماذا لا يكون معك تفسير حتى لو على الهامش؟ كل على حسب استطاعته.

قرأت مقالة صغيرة منشورة على الفيس بوك في مسألة **"أيّ تفسير أقرأ في رمضان؟"**، و أن هذا السؤال تختلف إجابته حسب المرحلة الشرعية للشخص، على حسب الوقت الذي سيقضيه الشخص في القراءة في رمضان، افترض أن الشخص مشغول عنده امتحانات، عنده عمل في رمضان، فالوقت الذي سيعطيه للقراءة قليل، فلا يستطيع أن يختار تفسيرًا كبيرًا، إذًا يختار تفسيرًا على هامش المصحف، يختار "المختصر في التفسير"، "التفسير الميسر"، "القرآن تدبر وعمل"، يختار أي شيء من الموجود.

لو الوقت متاح ومستواه أعلى من ذلك فيقرأ "زبدة التفاسير"، "المختصر" للقاسمي، أو أي مختصر لـ "فتح القدير" للشوكاني غير "الزبدة"، مختصر تفسير ابن كثير، أيّ مختصر من مختصرات التفسير التي تناسب الشخص أنه يقرأ فيها، حاول تجعل مرة من المرات في رمضان أنك تقوم بهذا، أنك تهتم بالكيف.

قد يقول بعضهم: ولكن كيف وأنا معتاد أن أختم خمس مرات، وهذا يزيد إيماني، أنا لو قرأت التفسير ستقل عدد الختمات، ويقل إيماني.. جرب مرة، ولو أنت إيمانك يزيد و تتغير مع كثرة الختمات لا سيما لو أنت لك علاقة بالقرآن، أو لسانك رطب بالقرآن ويجري بالقرآن و فاهم ومجرد تتوقف لفهم بعض المصطلحات وبعض الألفاظ، في هذه الحالة اليأس أن تكثر من الختمات.

لكن الإشكالية أن تكون كثير من آيات القرآن لا أعرف معانيها، وكلمات في القرآن لا أعرف معانيها ومستمر في القراءة، فلتنظر حتى على معنى الكلمة في الهامش أو حتى معنى الآية، اقرأ من المصحف الذي فيه التفسير على الهامش، فلو قابلتك آية تريد أن تعرف معناها تقرأه.

عجيب ألا يستثير الإنسان هذا الفضول؟! شيء عجيب جدًا، أكثر من ٦٠٠٠ آية.. ألا يوجد آية تريد أن تعرف معناها؟ أم أنك ابن كثير يقرأ القرآن!

بالتأكيد لو أنك متدبر في القراءة سيكون عندك أسئلة تريد أن تسألها، مثلًا هذه الآية ما معناها، ختام هذه الآية عجيب، ما علاقة الختام بما جاء في السورة، حتى لو كانت أسئلة ليس لها إجابات فهي تدل أن القلب حي، أن القلب يقظ وهو يقرأ.

غياب التساؤلات أثناء قراءة الورد إشكالية، كما قلت إما أن ابن تيمية هو الذي يقرأ، وإما غافل لا يركز، غياب الأسئلة والتساؤلات التي تقع في صدر الإنسان أثناء القراءة هذا يعني وجود إشكالية وخاصة لو استمر غياب الأسئلة وغياب التساؤلات على مدار الشهر بالكامل!!!

أي أنه يقف طوال التراويح ثم تسأله بعد التراويح سؤالين: ما أكثر آيه تريد أن تعرف معناها؟

وما أكثر آيه أثرت فيك؟

قد يقول أحدهم كل الآيات أثرت فيّ!، وكل الآيات أعرف معناها! تخيل لو أنك ستُسأل هذين السؤالين، فما أكثر آية حدث لك فضول عند قراءتها أو سماعها فتريد أن تعرف معنى هذه الآية؟ تتمنى أن تفهم مراد الله عز وجل منك في هذه الآية.

هذا القرآن نزل إلينا، لم ينزل لناس آخرين، بل نزل إلينا، فماذا يريد الله مني من هذه الآيات؟

عياش بن ربيعة لما فُتن ورجع مكة ولم يهاجر وسيدنا عمر بن الخطاب كان يراسله لكي يرجع ونزلت الآية {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ}[الزمر:٥٣] سيدنا عمر يريد أن يقول لعياش إنك حتى لو فُتنت وارتددت، فلك توبة مرة أُخرى، مهما كان الذنب يوجد أمل أنك تعود، فكتب له الآية فقط وبعثها لعياش، فعياش فتح الآية ولم يفهمها فصعد على جبل ودعا: اللهم أفهمنيها، يريد أن يفهم الآيات، فألقى الله عز وجل في قلبه فهم هذه الآيات، فهاجر لأنه فهم آية ونفذها.

فأنت أيضًا قل يا رب أنا أريد أن أفهم هذه الآية، وخاصة لو تستطيع أن تأخذ بالسبب، ادعُ ربنا سبحانه و تعالى واسأل أهل الذكر وابحث، فشعور أني أريد أن أفهم الآية أو أن آيه معينة أثرت فيّ فأصحب هذه الآية، أمشي والآية حاضرة في ذهني {مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ}[ق: ١٨]، {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ}، {وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ}[سبأ: ٣٩]...آيات تصبح قواعد في حياتي، لا أحتاج أن يفكرني بها أحد.

كلما أنفق مال أتذكر آية {فَهُوَ يُخْلِفُهُ}، أصبح شعارًا قرآنيًا في حياتي، كلما يقابلني أحد يتجاهل عليّ أتذكر آية {وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا}[الفرقان: ٦٣]، أصبح نبراسًا في حياتي، عندما يجيء الليل {يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا}[الفرقان: ٦٤] أصبحت قواعدًا في الحياة، لا تحتاج إلى شرح هذه جزء من حياتي، اختلط القرآن أو جزء من الآيات بلحمه و دمه.

فهذا أحد أهم وسائل استغلال رمضان أني أقترب من القرآن خطوة، أرتقي مع القرآن

ملخص درس اليوم:

*جلسة الصدق والطلب في التغيير بصدق في مواسم الطاعات وفي رمضان تحديدًا.

*الاقتراب من القرآن بحيث يكون تغيري تغيرًا قرآنيًا على مراد الله سبحانه و تعالى مني.

أسأل الله العظيم أن يبلغنا رمضان وأن يُعيننا فيه على ذكره و شكره و حسن عبادته وأن يوفقنا لقيام ليلة القدر على الوجه الذي يرضى به عنا سبحانه وتعالى، وأن يوفقنا لصيام رمضان على الوجه الذي يرضى به عنا سبحانه وتعالى.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، سبحانك اللهم ربنا وبحمدك أشهد ألا إله أنت أستغفرك وأتوب إليك، ونلتقي بعد رمضان بإذن الله سبحانه وتعالى... والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.